دراسات السيرة النبوية في تركيا

وسلسلة النور الخالد لمؤلفه الأستاذ فتح الله كولن نموذجا

أ.د محمد خليل جيجك (*)

بســـم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد عباده الصالحين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

مدخل

إن علاقة الشعوب المسلمة سلفا وخلفا قديما وحديثا بنبيهم المصطفى صلى الله عليه وسلم علاقة حميمة حيوية قوية ملئها الصدق والحب والوفاء والتعظيم والإجلال. ترى أن حب الأمة الإسلامية لنبيهم من نوع آخر قل نظيره في الأمم الأخرى إن ذلك الحب الضارب جذوره في جميع أعماق الأمة وبين جميع أجناسها وشعوبها لم يخمد أواره ولم تضعف ناره مدى التاريخ كله. وكلما تقدم بالمسلمين الزمن اشتدت صلتهم القلبية بنبيهم وازداد حبهم المعنوي له الواصل إلى درجة العشق والحب العذري فبالرغم من ابتعاد أجيال المسلمين المتأخرة زمنيا من نبيهم بمآت السنين لكن ترى جذوة العشق المعنوي فيهم لنبيهم مشتعلة كأشد ما يكون ومتزايدة ومتنامية مع الزمن غير منقوصة ولامبخوسة فترى في ديوان الشعر الإسلامي أن القسم الذي يتناول حب المصطفى ويذكر سيرته وشمائله الشريفة يشكل قسما كبيرا من ذلك الديوان الحافل. وترى عن كثب أن ما ألف من أنين قلوب عشاق النبي صلى الله عليه وسلم يبلغ آلاف القصائد والنشائد وأن تلك الأشعار المقولة في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم وحبه تبلغ مآت الألوف بل مآت الملايين بدون مغالاة ولا مبالغة. فقد ألف من مختلف شعوب العالم مآت الشعراء غرر القصائد في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن أحسن النماذج على ذلك البويصري الشاعر العربي في بردته وفي همزيته، وعبد الرحمن الجامي العالم الفارسي في ديوانه الحافل الذي يبلغ آلاف الأشعار كلها في حب المصطفى عليه الصلاة والسلام، والكربلائي الكردي العاشق الولهان في حب النبي عليه السلام في ديوانه، والفضولي الشاعر التركي المعروف في شتى قصائده وخصيصا في قصيدته الغراء صو، ومحمد إقبال الفيلسوف الشاعر الأردي في أشعاره الكثيرة المتدفقة بحب النبي وإجلاله وهكذا...

* ــ عميد كلية الإلهيات في جامعة بينكول – تركيا.

القسم الأول دراسات السيرة النبوية في تركيا

1- نظرة إجمالية على دراسات السيرة في تركيا

ومن الجانب الآخر إن ما ألف في المصطفى صلى الله عليه وسلم لا ينحصر في هذا الجانب العاطفي فحسب بل إن الآثار العلمية التي ألفت عبر التاريخ في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم تحتل أيضا مكانا واسعا من المكتبة الإسلامية وتعطي الدارس قناعة علمية تامة أن السيرة النبوية تستحق في الأوساط العلمية اهتماما أكثر وأكثر فإنها منبع فياض لتلك القيم الأخلاقية العليا ونبع ثر لتلك المبادئ الإنسانية الفضلى ومصدر مبارك لتلك القواعد الحضارية العظمى ومورد جياش لتلك التعاليم العمرانية السميا.

وازداد خصيصا في هذه الآونة الأخيرة التي انتشر فيها في شتى أرجاء العالم الإسلامي الجامعات الإسلامية والمعاهد والكليات التي تدرس فيها العلوم الإسلامية ازداد عدد الأعمال الأكاديمية والدراسات المعاصرة، والبحوث العلمية في شتى جوانب السيرة ومواضيعها. نرى أن حجم الأعمال الأكاديمية في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بلغ مبلغا بحيث يكاد يفوت العد والحصر. فمثلا في الساحة التركية فحسب يزيد عدد البحوث والدراسات المؤلفة في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم كلا أو بعضا على ثمانية مائة بحث ما بين كتاب مؤلف أو رسالة أكاديمية أو بحث مكتوب كمقال أو غيره.

ثم إن ما كتب في ساحة تركيا من المؤلفات في السيرة يمكن تقسيمها عدة تقاسيم: أ- من ناحية المضمون، ب- من ناحية المنهج والأسلوب، ج- من ناحية لغة التأليف، د- من ناحية النظم والنثر، هـ -من ناحية الأصالة والترجمة.

أ- فمن ناحية المضمون إن أعمال السيرة في تركيا تنقسم إلى قسمين:

1. منها ما يتناول سيرة المصطفى ككل فيتناول مواضيع السيرة وأحداثها على الترتيب الزمني في حدوثها ووقوعها ويستوعب أحداث السيرة بالتفصيل أو الإجمال حسب إمكانيات الكتاب الذي يؤلفه وخير مثال على ذلك ما يلي من المؤلفات:

1- شمس العالمين نبينا (İki Cihan Güneşi Peygamberimiz) لجنيد سآوي

2- سيرة النبي (Siyer-i Nebi veya Hazreti Peygamberin Hayatı) لعثمان كسكي أوغلو مختصر في السيرة طبعت ستا وعشرين مرة.

3- خاتم الأنبياء حضرة محمد وحياته (Hatemü'l-Enbiya Hazreti Muhammed ve Hayatı) لمؤلفين تركيين: على همت بركي وعثمان كسكي أوغلو طبع خمسا وعشرين مرة. كتاب مفصل في السيرة يبرز على أساليب الكتاب حب المؤلفين للرسول صلى الله عليه

وسلم ومحاولتهما لتلقيح ذلك الحب النبوي العظيم للقارئ، ومن جراء ذلك تراهما يزينان بعض المواضيع بين حين وآخر ببعض الأشعار الرنانة في حب المصطفى.[1]

4- حضرة محمد ورسالته العالمية (Hz. Muhammed ve Evrensel Mesajı) للأستاذ الدكتور إبراهيم ساري جام طبع ست طبعات.

5- ثلاث رسائل مستقلة للداعية الشهير الأستاذ الدكتور إحسان ثريا صيرما. إحداها: **المرحلة المكية وحضرة محمد فيما قبل الإسلام** (İslam Öncesi Mekke Dönemi ve Hz. Muhammed) طبعت اثنتين وعشرين مرة. ثانيتها: **المرحلة المكية في الدعوة الإسلامية والتعذيب** (İslamî Tebliğin Mekke Dönemi ve İşkence) طبع ستا وأربعين طبعة. ثالثتها **المرحلة المدنية للدعوة الإسلامية والجهاد** (İslamî Tebliğin Medine Dönemi ve Cihad) طبعت ستا وثلاثين طبعة.

6- حياة نبينا (Peygamberimizin Hayatı) لمؤلفه عرفان يوجل من منشورات رئاسة الشؤون الدينية طبعت عشرين طبعة يتكون الكتاب من مأتين وثمانين صفحة. تناول الموضوعات بصورة وسط بلا تطويل ولا تقتير فتناول في القسم الأول الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل النبوة وحياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وحياة النبي بعد النبوة كما تناول في القسم الأخير أحداث السيرة في الفترة المدنية حسب سنوات الهجرة.

وهذه المؤلفات هي أكثر مؤلفات السيرة في الساحة التركية انتشارا إذا استثنينا بعض التراجم التي ترجمت عن بعض اللغات الأخرى ككتاب حياة النبي لمحمد حميد الله الحيدرآبادي الهندي الذي ترجم إلى اللغة التركية عن اللغة الفرنسية.

يجدر بنا ونحن نبحث عن مشاهير مؤلفات السيرة في اللغة التركية أن نقف هنيهة مع ذلك الكتاب الحافل في السيرة النبوية وهو كتاب **تاريخ الإسلام نبي الأنبياء حضرة محمد عليه السلام والإسلامية** (İslam Tarihi Peygamberleri Peygamberi Hz. Muhammed (a.s) ve İslamiyet) لمؤلفه مصطفى عاصم كوكسال (ت 1998). إن هذا الكتاب أوسع كتاب كتب في العصور القريبة في التاريخ الإسلامي، ثماني مجلدات في ثلاثة آلاف وخمسمائة وثلاثين صفحة، نال جائزة السيرة النبوية في باكستان عام 1983. نال الكتاب قبولا جماهيريا في الأوساط التركية أقبل عليه جمهور الناس بشغف وولع. طبع بالرغم من طول حجمه أكثر من عشر مرات. كما أن المؤلف مصطفى عاصم كتب في السيرة كتابا آخر مستقلا مختصرا باسم نبينا

1 انظر مثلا Ali Himmet Berki ve Osman Keskioğlu, Hatemu'l-Enbiya Hz. Muhammed ve Hayatı, DİB yay.25. bas., Ankara 2010, s. 37-38, 151, 154, 167, 219, 222-223.

(Peygamberimiz) نشر من قبل رئاسة الشؤون الدينية. وأيضا نظم نفس المؤلف السيرة النبوية في كتاب آخر.

والكتاب الأول لمصطفى عاصم كوكسال ناول أحداث السيرة بتفصيل وإطناب بالغ بحيث لم يغادر صغيرة ولا كبيرة من أحداث السيرة إلا وأحصاها يتيسر للقارئ التركي أن يعثر من خلال صفحات الكتاب على جلائل أحداث السيرة ودقائقها وإجمالها وتفاصيلها وتعدد رواياتها. فمثلا نرى الشيخ مصطفى رحمه الله يتناول انتشار الإسلام خفية والمسلمين الأوائل فيذكر أسباب إسلامهم فردا فردا ويعطينا قائمة لأسماء المسلمين الأوائل تبلغ مائة وعشرين شخصا.[1] وبقصر القول إن الكتاب موسوعة كاملة في السيرة النبوية تستحق التقدير والإعجاب. ويتوجب علينا أن ننوه من ميزات هذا الكتاب بأن المؤلف رحمه الله وثق بدون كلل ولا ملل جميع ما سجله من المعلومات بذكر مصادرها وعزوها إلى قائلها وهذا أضفى على الكتاب ثقة وتقديرا.

وأيضا من الجدير بنا أن نشير في هذا السياق إلى مؤلفات أحمد جودت باشا في التاريخ الإسلامي عامة وفي السيرة خاصة ككتاب **خاتم الأنبياء** له الذي نال إعجاب جمهور مثقفي الأتراك بالرغم من صعوبة فهمه عند القارئ التركي المعاصر إذ كان الكتاب مؤلفا باللغة العثمانية ولا يفهمها القارئ التركي المعاصر بسهولة ولو استعان بالمعاجم وكتب اللغة. كما أن باشا المذكور خص المجلد الأول من كتابه تاريخ الأنبياء والخلفاء (أربع مجلدات) لسيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

ثم إن السمة الغالبة على أساليب هذا القسم هو سرد أحداث السيرة سردا وإعطاء المعلومة التاريخية مجردة من أي تعليق وتحقيق. ولكن يرى في البعض الآخر من هذا القسم كمؤلفات الداعية الشهير **إحسان ثريا صيرما** بأجزائها الثلاث أسلوب الدعوة والبلاغ فيغلب على رسائله طابع استخراج العبر من طيات أحداث السيرة. ومن هنا لم يخض الشيخ إحسان في عرض تفاصيل الأحداث ومناولة دقائقها؛ بل وقف عند حدود مهمته حيث يذكر الأحداث بخطوطها الإجمالية ثم يحاول بجهد جهيد أن يرشد القارئ إلى مكامن العبر والرسالات فيها كي يلقح القارئ منها الوعي الإسلامي ويغرس فيه الروح الديني. وهذا ينشأ بطبيعة الحال من عقلية المؤلف ونوعية اهتماماته.

كما يجدر بنا أن نذكر هنا كتابا آخر حافلا مؤلفا في السيرة النبوية تناول ببسط وتفصيل وتوضيح جل دقائق أحداث السيرة باسم on Elçi Hz. Muhammed (s.a.v) ve Onun Rehberliğinde Hayat (الرسول الخاتم حضرة محمد والحياة تحت إرشاداته) لمؤلفه: Günay Bayburtlu Kesler كوناي بايبرتلو كسلر الكتاب مكون من 576 صفحة يتضمن الكثير من دقائق أحداث السيرة بأسلوب سهل مبسط زين الكثير من صفحات الكتاب بصور صغيرة للكثير من الأمكنة التي

---

[1] انظر: M. Asım Köksal, İslam Tarihi, Köksal yay. İstanbul 2004, I., 225-247.

جرت عليها أحداث السيرة وثق ما ذكره من المعلومات بعزوها إلى مصادرها ويبدو للمؤلف أسلوب خاص حيث يذكر عقب كل ما ذكره من حادث تقييما للموضوع يحاول أن يشير إلى ما تضمنه الحادث من دروس وعبر.

2. منها ما يتناول بالدراسة بعض أحداث السيرة أو جانبا من جوانبها يتناوله بالتأمل الدقيق، والملاحظة العميقة، والتحليل الأكاديمي، والتفصيل العلمي حسب مهارة الباحث ونضوج عقليته العلمية واكتمال آليات وأدوات شخصيته المعرفية وهو السمة الغالبة على الدراسات الأكاديمية. إن هذا القسم من الدراسات لا يريد أن يسرد الوقائع سردا بل يحاول أن يأتي بجديد فيما يتناوله من قصة تاريخية أو حدث تاريخي إما استيعابية للموضوع لم يسبق إليها، أو تحقيقا للموضوع دلالة، أو ثبوتا، أو تعليقا، أو إضافة، او استخراجا واستنباطا لدروس وعبر مما تناوله من الموضوع أو الموضوعات شأن الدراسات الأكاديمية.

ولا ننسى أن في هذا القسم من أعمال السيرة النبوية في الأوساط التركية أيضا ما يغلب عليه الطابع الدعوى البلاغي وخير مثال على ذلك ما تناوله بديع الزمان سعيد النورسي في كتابه ذو الفقار الأحمدي وفي المكتوب التاسع عشر من مكتوباته وفي مواضع متفرقة في سائر كتاباته فإنه تناول في كلا الكتابين معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم بأسلوب الداعي المبلغ وحاول عقب كل معجزة ذَكَرَها أن يبين وجه دلالتها على صدق رسالة الرسول وحقيتها كما لم ينس أن يسلط الضوء على سيرة المصطفى ككل ويستنبط من خلال ذلك من جزئياتها وأجزائها وكلها ومجموعها وجوها ظاهرة، ودلالات بارزة، وحججا دامغة، وبراهين قاطعة على صدق رسالة الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأتى النورسي في ذلك من خلال شتى كتاباته بما يقنع الجاحدين ويلزم المكابرين ويفحم المعاندين.

ب- من ناحية المنهج والأسلوب

إذا ألقينا نظرة من علُ على دراسات السيرة النبوية من ناحية منهجها وما استخدمت من الأساليب أمكننا أن نقسمها إلى قسمين: 1- القسم الأكاديمي الذي التزم المنهج الأكاديمي في عرض الموضوعات وتحقيقها، ومناولة المسائل وتدقيقها، وتوثيق المعلومات وتثبيتها بذكر المصادر واستخدام المعطيات الحديثة. فمثلا كتاب حضرة محمد ورسالته العالمية (Hz. Muhammed ve Evrensel Mesajı) للأستاذ الدكتور إبراهيم ساري جام ورسائل الأستاذ الدكتور إحسان ثريا صيرما الثلاث من هذا القبيل. حيث إن الأستاذ إبراهيم استخدم بلا إفراط شيئا من الخرائط والصور الفوطوغرافية لبعض الأماكن التي جرت عليها أحداث السيرة فأتى في كتابه بثلاث وعشرين خريطة وثمان وثلاثين صورة فوطوغرافية ومن الجدير بالاعتبار أن إبراهيم صاري جام لم يقف عند حد سرد

الأحداث التاريخية من السيرة النبوية بل تعداها بكثير حيث إن عدد صفحات المتن المقروء من مجموع الكتاب البالغ عدد صفحاته 437 صفحة أربع مائة وسبع صفحات فخصص من هذا المجموع 243 صفحة لأحداث السيرة بدأ بعرض لصورة الوسط الذي نزل فيه الوحي وانتهاء ببيان النشاط الإعلامي للإسلام عبر الرسائل والرسل وغيرهما من الآليات، وخصص من صفحة 263 إلى صفحة 295 لعرض الشمائل النبوية بأسلوب حديث سهل لا يشمئز منه القارئ. كما خصص من صفحة 294 إلى نهاية الكتاب ص 406 لإدارة الرسول صلى الله عليه وسلم للمجتمع وأتى في ذلك بعناوين حديثة طريقة جديرة بالاعتبار.[1]

2- القسم الشعبي: وهو الذي أوثر فيه خطاب الشعب، والنزول عند رغبتهم، ورعاية درجة فهمهم في تناول المسائل. فهذا القسم من أعمال السيرة يهتم بالدرجة الأولى بتوضيح الأحداث على مستوى فهم عوام الناس فلا يلتفت إلى التحقيق العلمي ولا إلى توثيق المعلومة بذكر المصادر والهوامش. وأبرز النماذج على ذلك كتاب: **شمس العالمين نبينا** (İki Cihan Güneşi Peygamberimiz) لجنيد سآوي. اهتم الرجل بعرض المسائل بأسلوب واضح مبسط لا تعقيد فيه ولا التواء لا يعاني القارئ فيه أية معاناة، وتجنب عن الاتجاه الأكاديمي وأسلوبه المعقد الملتوي. ويوجد من هذا النوع على الساحة التركية مؤلفات كثيرة بعضها قصير وبعضها طويل ألفت لاستفادة عموم الناس وتعريفهم بنبيهم عليه الصلاة والسلام وتذكيرهم بشمائله الشريفة.

ويمكن أن يعد من هذا القسم أيضا القسمان المار ذكرهما من ناحية عرض الموضوعات أحدهما ما رجح فيه سرد الموضوعات سردا وثانيهما ما التزم فيه أسلوب البلاغ والدعوة كما أسلفناهما.

وشيء آخر له صلة حميمة بالمنهج وهو أن بعضا من الكاتبين في السيرة لَمَّ وعمَّ كل ما دب وهب من الروايات والمعلومات بدون تمحيص ولا تحقيق كمصطفى عاصم؛ وهناك من الكاتبين في السيرة من يغلب عليه النزعة الحداثية والعقلانية فينكر أو يترك كل ما لايستغيسه عقله ولا يستجيزه هواه من أمثال **جلال الدين وطنداش** الذي ألف في السيرة كتابا حافلا في مجلدين باسم حياة حضرة محمد والدعوة الإسلامية (Hz. Muhammed'in Hayatı ve İslam Daveti) خصص المجلد الأول للفترة المكية وخصص المجلد الثاني للفترة المدنية، كتب المؤلف أحداث السيرة مفصلة بأسلوب علمي رصين ممتع يستهوي القارئ التركي ولكن يبدو من كتاباته أنه ممن ينكر المعجزات إذ لم نجده يتناولها أبدا فمثلا حينما يشرح غزوة الخندق فمع تناوله لدقائقها إذ يذكر مثلا أن مسافة الخندق 5.5 كيلو متر تقريبا طولا و9 أمتار عرضا و4.5 أمتار عمقا[2] فمع ذكره لهذه المعلومة الدقيقة

---

[1] انظر: Sarıçam İbrahim, Hz. Muhammed ve Evrensel Mesajı, DİB yay. 6. Bas., Ankara 2011, s. 294- 403.

[2] Celaleddin Vatandaş, Hz. Muhammed'in Hayatı ve İslam Daveti, Pınar yay. İst. Trz. II. 285.

لكنه لا يتعرض لمعجزة تكثير الطعام الذي ذكره جل من كتب في السيرة. وكذا نجده حينما يذكر من وقائع غزوة بدر الكبرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم رمى في بداية الحرب حفنة من التراب في وجوه المشركين وقال: "**شاهت الوجوه شاهت الوجوه**"، فيكتفي بهذا القدر ولا يحب أن يشير إلى جانب تجلى المعجزة الإلهية فيما بعد الرمي وتأثيره البالغ في انهزام المشركين.[1]

ج- من ناحية لغة التأليف

1- إن اللغة السائدة فيما كتب في فترة الجمهورية الحديثة في تركيا في السيرة النبوية هي اللغة الرسمية وهي التركية فالغالبية العظمى من المؤلفات والبحوث والدراسات المؤلفة في السيرة في تركيا كتبت باللغة التركية كما ترجم العديد من الكتب، والمصادر، والبحوث، والدراسات المفيدة المؤلفة بغير التركية إلى التركية فترجم من الإنجليزية ومن الفرنسية ومن العربية ومن الفارسية كتب قيمة إلى اللغة التركية من مثل ما كتبه مارتن لانجس بالانجليزية وما كتبه محمد حميد الله بالفرنسية وما كتبه بعض المؤلفين الإيرانيين في السيرة. وكذلك ترجم إلى التركية بعض من أمهات المصادر العربية كالكامل في التاريخ لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن الكثير، وغيرهما فالعمل الترجمي يغطي ساحة واسعة في السيرة النبوية في تركيا لا مجال لإحصائه هنا.

2- وإلى جانب ما للغة التركية من السيادة في أعمال السيرة لكن هناك بعض الأعمال المؤلفة بغير اللغة التركية أيضا أو المترجم عن التركية إلى غيرها من اللغات الأخرى فمثلا كتب بعض من الأكاديميين المعاصرين حياة الرسول صلى الله عليه وسلم باللغة الكردية أيضا كما نقل وترجم من التركية إلى العربية كتاب النور الخالد في السيرة النبوية للأستاذ فتح الله كولن وطبع أكثر من مرة، وكما ترجم بعض أعمال الأستاذ النورسي أيضا إلى العربية وغيرها من كثير من لغات العالم.

أما ما ألف أصالة باللغة العربية فلم نجد له عينا ولا أثرا

د- من ناحية النظم والنثر

1- إن معظم ما ألف من أعمال السيرة باللغة التركية إنما ألف نثرا شأن المؤلفات في اللغات الأخرى وفي الموضوعات الأخرى وكل ما ذكرنا أعلاه من الأعمال إنما ألف بطريق النثر.

2- ومع ذلك فلما في الناس من الحرص البالغ على خدمة السيرة النبوية العاطرة فقد كتب بعض الباحثين والعلماء قديما وحديثا السيرة النبوية نظما كالبويصري والنبهاني وغيرهما، وعلى نهج نظم السيرة مشى بعض الباحثين في تركيا فألف في السيرة النبوية بالتركية نظما. وقد ذكرنا أعلاه أن مصطفى عاصم كوكسال كتب السيرة نظما، ومن دون ذلك فقد كتب الأستاذ إحسان ثريا صيرما أيضا السيرة النبوية نظما. وتناول الموضوعات التي نظمها بإجمال واختصار شديد شأن

[1] المصدر السابق، ج 2، ص 110.

الكتب المنظومة في العلوم الأخرى كألفية ابن مالك في النحو[1] وألفيتي الحافظين السيوطي والعراقي في الحديث ونهاية التدريب للعمريطي في الفقه الشافعي وجوهرة التوحيد للقاني في العقيدة وغيرها من الكثير الكثير.

فقد حاول الأستاذ صيرما أن يجمع جميع عناوين موضوعات السيرة بنظم تركي مبسط بدون تعقيد ولا التواء. بدأً بموضوع الرسل والتبليغ وفترة الجاهلية،[2] ومرورا بأحداث السيرة الكبرى كتعذيب قريش وغزوة بدر وأحد والأحزاب، وصلح الحديبية، وفتح مكة، وغزوة حنين، وغزوة العسرة،[3] وانتهاء بالأحداث الأخيرة في السيرة كالمباهلة، وحجة الوداع، ومرض الرسول عليه السلام، ووفاته.[4] ومما يستطرف في هذ النظم أن المؤلف ختم المصراع الثاني من جميع الأبيات في جميع الكتاب البالغ عدد صفحاته 91 صحيفة بقوله: sen geldin بمعنى "أنت جئت" خطابا للرسول الأكرم عليه صلوات ربي وتسليماته.

القسم الثاني دراسة السيرة النبوية عند الأستاذ فتح الله كولن

مدخل

إن ما ألفه الأستاذ **فتح الله كولن** الداعية المشهور في السيرة باسم **(Sonsuz Nur)** باللغة التركية من أكثر المؤلفات في السيرة انتشارا بين أتباع **الأستاذ كولن** وطلابه والكتاب ترجم إلى العربية وغيرها من كثير من لغات العالم. الكتاب في زيه التركي يتكون من مجلدين كبيرين طبع عشرات المرات.

أما الكتاب في زيه العربي فيتكون من سبعة أجزاء صغار ترجمه إلى العربية أورخان محمد على. طبع لحد الآن الطبعة الثالثة.

إن أسلوب الكتاب في اللغة التركية يغلب عليه الطابع الدعوي والسمة العرفانية. ويستبين من أساليب الكتاب من خلال جمله وكلماته وعباراته ما يهيمن على المؤلف ويستأسر عقله، وقلبه، ووجدانه من الأشواق الروحية، والأذواق القلبية، والمواجيد النفسية؛ كما يبدو من خلال ما انتقى المؤلف من الكلمات واختار من التراكيب ورجح من التعابير ما يتسم هو به من معاني الإجلال الجم والتعظيم العظيم لصاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم وما يتحلى به من التوقير والتعزير له عليه الصلاة والسلام كما ينم كل ذلك أيضا عن كامل محبته له عليه الصلاة والسلام ومودته المستولية على جميع كيانه، وكافة مشاعره، وعامة عواطفه.

[1] فمثلا انظر باب الاشتغال من ابن مالك محمد بن عبد الله، **الألفية في النحو والصرف**، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، بيروت 1423\2002، ص 52- 53.

[2] انظر: Sırma İhsan Süreyya, Sen Geldin, Beyan yay. İstanbul 2004, s 15- 40.

[3] انظر: المصدر السابق، ص 38- 84.

[4] انظر: المصدر السابق، ص 86- 90.

ومع الأسف الشديد غاب وغار أثناء الترجمة جميع تلك المعاني التي فيها رسالات بالغة وإشارات غالية للقارئ كما هو شأن كل ترجمة حيث لا تستطيع أية ترجمة من أية لغة إلى أية لغة أخرى من لغات العالم أن تحافظ على جميع سمات الأصل ومحاسنه ومزاياه.

إن الكتاب ترجم إلى العربية باسم **سلسلة النور الخالد** في سبعة أجزاء صغار كما ذكرنا أعلاه. والمترجم خصص كل جزء لجانب من جوانب السيرة على الترتيب التالي: الجزأ الأول: النبي المرتقب: الانتظار والقدوم، الثاني: من صفات الأنبياء ومكانتها من سيد الأصفياء، الثالث: عظمة الفطنة في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، الرابع: فن التربية وحل المعضلات عند مفخرة الإنسانية صلى الله عليه وسلم، الخامس: الرسول صلى الله عليه وسلم قائدا التنظير والتطبيق، السادس: العصمة النبوية، السابع: السنة النبوية تقييدها ومكانتها في الشريعة الإسلامية.

فهيا بنا الآن نقف برهة من الزمن مع **الأستاذ كولن** ومنهجه في عرض السيرة النبوية الشريفة. وقبل أن نخوض في ثنايا البحث يتوجب علينا استكمالا لجوانب البحث مع امتداداتها المضمونية أن نلم إلماما بشخصية كولن العلمية والاجتماعية ولكن تناولنا لسيرته الذاتية لا يتعدى صورة العرض الموجز لها لأن هذا البحث ليس بحثا مخصصا لسيرته الذاتية، حتى يتأتى له ويناسبه العرض المطنب من شتى الجوانب لسيرته المفعمة بعشرات الأحداث التي تسترعي أنظار الباحثين الأكاديميين وخصيصا منهم الاجتماعيين والدعويين وغيرهم. فذلك له مجال آخر وأقلام أخرى من المهتمين بمسيرات الدعوات الإسلامية والدارسين لحركات الإيدولوجيات البشرية والمعتنين بسيرات قواد تلك الحركات وزعمائها.

1- نبذة من سيرة الأستاذ فتح الله كولن

إن الأستاذ **فتح الله كولن** ولد عام 1938 في قرية تابعة لمحافظة أرضروم اسمها كوروجك في شرق آناضول بتركيا.[1] نشأ في أسرة صالحة ملازمة للتقوى والورع. أخذ العلوم الشرعية على النهج القديم في المدارس الأهلية المبثوثة حينئذاك في مدن شرق آناضول وقراها.[2] ومن خلال استمراره في تحصيل العلم تعرف على رسائل النور للأستاذ **بديع الزمان سعيد النورسي** فكان ذلك سببا لمعرفة الأستاذ **كولن** عن كثب أحوال الأمة الإسلامية الاعتقادية، والأخلاقية خاصة وشؤونها الاجتماعية عامة. رأى الأستاذ كولن بأم عينيه ما تمر به الأمة الإسلامية من الثبور والويلات والمحن والأزمات والفتن والبحرانات فشدد العزم وعزم الشد على تفقد أحوال الأمة عن قرب، وعلى المجاهدة الطويلة

---

[1] ولمعرفة تفاصيل أحوال هذه القرية وموقعها الجغرافي ومكانة أسرة الأستاذ كولن فيها أنظر فريد الأنصاري، **عودة الفرسان سيرة محمد فتح الله كولن رائد الفرسان القادمة من وراء الغيث**، دار النيل، الطبعة الأولى، إستانبول 1431\2010، ص 28.

[2] انظر المصدر السابق ص 61-92.

والمصابرة المستمرة لإيقاظها من رقادها وتنبيهها من غفلتها.[1] وبذلك وضع الأستاذ كولن اللبنة الأولى الأساسية لحركته الإسلامية التي ستنمو فيما بعد نمو الديدان في الطعام.

أمضى الأستاذ كولن أيام شبابه في عبادة، ومجاهدة نفس، وورع، وزهد، وعفاف وصرفها في الدعوة إلى سبيل الله. وقد رزق **الأستاذ كولن** مقدرة فائقة وموهبة فذة في الخطابة التركية. تراه يتكلم بكلام بليغ راق رائع طوال الساعة لا يتلكأ ولا يتلعثم ولو في كلمة واحدة، وكان أيضا يمتلك خلاقا وافرا من دماثة خلق، ولين جانب، ولطف فعل، ورفق قول في معاشرة الناس. والأستاذ كولن بموهبته هذه يذكرنا بالإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله. وكان ذلك عاملا كبيرا في انجذاب قلوب الناس إليه واستيلائه على عقولهم وأفئدتهم ونشر حركته في أسرع وقت ممكن.

وكان للأستاذ كولن نصيب غير منقوص في العلوم والمعارف الإسلامية بقديمها وحديثها؛ وكان يتمتع أيضا بثقافة ثرية واسعة تشمل كافة جوانب الحياة الحديثة وأحداثها. فكل هؤلاء الأمور مما عددناه وغيرها مما لم نعده جعلت لشخصيته قبولا عظيما بين كثير من الناس فأقبل الناس عليه وحدانا وزرافات من كل حدب وصوب وخصوصا الشباب المدرسيين والجامعيين والمثقفين، وانعكس آثار ذلك القبول الإيجابية على دعوته فلما رأى **الأستاذ كولن** ذلك الإقبال الجماهيري عليه وعلى دعوته انفصل من سائر الحركات الإسلامية القريبة له في تركيا وبدأ يضع أسس دعوته من جديد. والتف حوله في فترة غير طويلة رجال مخلصون له وثلة من الشباب المسلمين الذين كانوا يكابدون جميع التضحيات ويقاسون كافة الشدائد في سبيل نشر حركته بين ربوع العالم.

2- لمحة من معالم حركة الأستاذ فتح الله كولن

إن لكل حركة دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية بعض الملامح يفصلها ويميزها عن الحركات الأخرى وكل حركة يلزمها أن يكون لها معالم ومبادئ وقواعد تقومها وتجعل لها جوهرا ذاتيا يأتي لها بكيان ذاتي مستقل عن الحركات الأخرى كما أن من طبيعة الحركات الاجتماعية والدعوية والسياسية، ومن مقوماتها الأساسية أن يكون لها هدف أو أهداف محددة تسعى كل واحدة من الحركات للوصول إليها. وبتلكم المبادئ والقواعدد والتعاليم والأهداف يتكون الشخصية المستقلة لأية دعوة ما.

فإذا ألقينا نظرة سريعة ولمحة خاطفة على حركة الأستاذ فتح الله وجدنا لحركته هذه المعالم الآتية علما منا أن نظرتنا هذه نظرة خارجية لا داخلية ونظرة إجمالية لا نظرة تفصيلية فهي اللائق بسياق هذا البحث الأعجل ليس إلا. فمن أهم معالمها:

[1] انظر أيضا المصدر السابق، ص 95-122.

1. أنها تتحفظ بصورة بالغة من استخدام المصطلحات السياسية وتتجنب التدخل في المواضيع السياسية حتى لا يسترعى أنظار الحكومات ولا يستجلب عدائها. ويبدو على أساليب الأستاذ كولن عبر خطبه الدعوية وخطاباته البلاغية الأسلوب العرفاني الذي يهتم بجانب الزهد، والتقى وحب الله ورسوله والخوف من الآخرة وعذابه، وينبه بإيقاع شديدعلى الأمراض القلبية كالرياء والكبر والعجب وما إليها.

2. أنها تعتني غاية الاعتناء بتكوين الجامعات، والمدارس، والمعاهد العلمية والتربوية، والمنشآت الاقتصادية، والمؤسسات الاجتماعية الثقافية التي توجه المجتمع وتربيه وتؤثر في رؤيته ورؤاه وخصيصا لها اهتمام خاص بالمؤسسات التعليمية والمعاهد التربوية والمنظمات الإعلامية كالصحافة بكافة فروعها. أليس من المثير للعجب والتقدير أن هذه الحركة تمتلك في داخل تركيا وخارجها سبعا من القنوات التلفازية الفضائية وثلاث راديو واثنتين من الجرائد القوية إحداها منشورة باللغة التركية تبلغ أعدادها المنشورة يوميا 900000 وثانيتها منشورة باللغة الإنجليزية. كما تنشر مجلة شهرية عربية باسم "الحراء" ومجلتين بالتركية. إلى جانب أن الحركة فتحت في داخل تركيا عشر جامعات وفي الخارج ثلاث عشرة جامعة كما يوجد الآن لها في داخل تركيا في مختلف المدن نحو 284 مدرسة من المدارس الابتدائية و561 من المدارس الثانوية والمتوسطة ويوجد لها في الخارج أيضا في 145 بلد من مختلف بلاد العالم بالعشرات من المدارس الابتدائية والثانوية والمتوسطة، وكذلك يوجد لها نحو من 370 مركز ثقافي مع 221 مركز للدراسات والبحوث. وكل هذه الأرقام إن دلت على شيء فإنما تدل على ما يتمتع به قائد الحركة من نظرة مستقبلية بعيدة المدى وإحاطة تامة بشؤون ومكونات المجتمع الحديث وآليات التغلغل في كيانه والاستهداف للاستيلاء على مكامن القوى فيه.

3. أنها تهتم أن تكون حركة عالمية لا إقليمية محبوسة في حدود بلد واحد. ومن ثمه تحاول أن تبث وتنشر مؤسساتها التعليمية ومدارسها وجامعاتها في جميع قارات الدنيا،

4. أنها تهتم بتحسين العلاقات الثنائية وتكوين الصلات الصداقية مع رجال السياسة وكوادر الدولة ورجال العمل أينما حلت أو رحلت كسبا لقلوبهم، وتجنبا من عدائهم، واستفادة من ثرائهم.

5. أنها تتجنب من التعرض لنقد سياسات القوى الكبرى كالاتحاد الأمريكي أو الاتحاد الأوروبي، أو غيرهما. وإضافة على ذلك يتماشى أبناء الحركة مع تلك القوى ويحاولون أن يداروهم ولو كان ذلك على حساب غياب بعض مقاصد وأهداف الحركة. نعم مهما كانت تلك الأهداف الإسلامية السامية حية وقوية في ذهن زعيم الحركة **الأستاذ كولن** لكن مع الأسف الشديد غابت معظم تلك الأهذاف وغارت جل تلك المقاصد من ذهن كثير من الكوادر العليا للحركة. ونسيت تلك الكوادر أن مجانبة نقد سياسات تلك القوى الكبرى وسيلة وليست غاية مقصودة لذاتها فاحتلت الوسيلة في أذهانهم مكان الغاية وترى البعض منها يجاملون الملأ الإداري الأعلى فيكثير من الأحيان

ولو كان ذلك على حساب إتلاف بعض القيم والثوابت الإسلامية. وهي الطامة الكبرى والفاجعة العظمى.

6. أنها تتميز بمراعاة الظروف البيئوية الخارجية جدا. فأبناء هذه الحركة يهتمون بملائمة الظروف المحيطة بهم والانصهار في بوتقة بيئتهم ولو كان ذلك على حساب التفرغ – موقتا– من بعض مبادئ حركتهم أو كان على حساب ترك بعض الشعائر الإسلامية أوالواجبات الدينية. ومن جراء ذلك يهتم أبناء هذه الحركة بمظاهرهم الخارجية من ملبس، ومسكن، ومركب، ومطعم، وغير ذلك.

7. أنها تهتم بالثراء والغنى علما من أبنائها أن عجلة الحياة الحديثة لا يمكن أن تتحرك بدون قوة مالية مادية متفوقة كما قال تعالى: **{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ...}**[1] وهذا أمر دقيق ضروري لنجاح أية حركة ما ربما أغفله كثير من الحركات الدينية سابقا ولاحقا. ويذكر أن أبناء الحركة يمتلكون ثلاثا وعشرين شركة من الشركات التجارية الكبرى.

8. أنها تتميز بالحيطة والتقية في الكثير من تصاريفها، وتدابيرها، ومخططاتها، ونشاطاتها. وكانعكاس لهذه الحيطة تتميز بمرونة بالغة سواء في أداء التكاليف الشرعية كما مر أعلاه، وسواء في السلوك الإسلامي اليومي، وسواء في الإبانة عن مقاصد الحياة الإسلامية، وسواء في الإعراب عما يهمها من أهداف الحركة، وسواء في التمظهر بالمظاهر الاعتيادية في الحياة اليومية. وكأن هذا المبدأ من اجتهادات **الأستاذ كولن** الدعوية حيث إن الأستاذ لما رأى تكتل القوى الكفرية الكبرى على الإسلام وذويه، ولما رأى أن القوى الكفرية الاستعمارية الكبرى لا تسمح ولا قيد شعرة للمسلمين أن يبرزوا على الساحة بطلباتهم السياسية أو أن يخرجوا إلى الميدان كحركة سياسية إسلامية ولما رأى أن المسلمين الذين يبرزون على الساحة بطلبات سياسية يلاحقون في كل مكان ويطردون ويشردون في كل قطر وبلد رأى أن يظهر بصورة أخرى وبشكل آخر لا يستجلب الأنظار ولا ينبه الأفكار. فجعل الحيطة لحركته شعارا والحذر لها دثارا فكانا من أهم معالم حركته. ولكن مع الأسف الشديد إن هذه الخطة العملية بالرغم من حسن نية وصفاء مقصد في وضعها انعكس منها على كثير من أبناء الحركة آثار سلبية بالغة ربما لا يمكن اقتلاع جذورها السيئة من الحركة بيسر وفي وقت قصير فانقلب كثير من الفروض والواجبات الشرعية إلى أمور تالية ليس من الضروري أدائها والإتيان بها، وكذا انقلب بتلك المرونة في السلوك كثير من المحرمات إلى المباحات التي يرغب في فعلها. وأدل دليل على ذلك ما يرتكب من المحرمات الكثيرة الشائعة فيما يسمى بمهرجان اللغة التركية العالمية من اختلاط

[1] الأنفال: 8\60.

الرجال بالنساء ورقص الفتيات الجميلات وغنائها أمام الحشود المحتشدة من الكهول والشبان. والأدهى الأمر أن كثيرا من أبناء الحركة يقبلون على التفرج عليهن بقصد المثوبة المعنوية والتقرب إلى الله لكونه نشاطا لحركته.

وكذا من أهم المؤاخذات على هذه الحركة العصبية الحركية الغريبة لدى الكثير من أبنائها. فلا يقبلون الاشتراك مع أية جماعة إسلامية أخرى في أي أمر ما. وأدل دليل على ذلك أني حينما كنت رئيس اتحاد الجمعيات الخيرية في مدينة وان بأقصى شرق تركيا كان جميع الجماعات والجمعيات الإسلامية يشتركون في ذلك الاتحاد إلا أبناء هذه الحركة. وكذا مما يؤاخذ عليهم بكثرة وشدة أنهم يحاولون بجميع جهدهم أن يكون جميع مناصب الدولة ووظائفها موكولة إليهم فحسب لا يشاركهم فيها غيرهم أبدا. فلا يتحملون أبدا – إذا كان الأمر بأيديهم- أن يوسد الأمر إلى غيرهم. وينعكس من هذا آثار سيئة سلبية على سمعة الحركة ويسبب مقت كثير من الناس على الحركة كما شاع هذا في الآونة الأخيرة في تركيا شيوعا بارزا.

وكذا من الآثار السيئة السلبية لهذه العصبية على الحركة أن القائمين عليها لا يقبلون الانتقاد والاعتراض عليها من أحد في أي أمر ما — ولو كان من أخلص الناس قلوبا- وهذا يسبب الخلط واللبس والاضطراب في كثير من الأمور من حيث لا يفقهون، وكذا يجعل للعجب والغرور والكبر إلى أبناء الحركة سبيلا من حيث لا يشعرون.

ومن أهم عوامل النجاح لدى حركة كولن أن قائد الحركة استطاع بمقدرته الدعوية والبلاغية العجيبة أن يكون عقليات جديدة لدى أتباعه وطلابه ومن شغفوا بالانخراط في حركته سواء في العمل والسلوك، وسواء في النظرة إلى الحياة، وسواء في المعتقدات.

فمع أن رسائل النور كانت تشكل الركيزة الأساسية لحركته لكن استطاع **الاستاذ كولن** باستعداده النفسي وموهبته الشخصية أن يضيف الكثير من الأسس الجديدة والقواعد القويمة والمبادئ المفيدة والتعاليم الرشيدة إليها مما يجعل الحركة تستطيع أن تساير العصر وأحداثه. وبهذا أتت هذه الحركة – واقعيا لا نظريا- إلى ساحة الوجود في ثوب قشيب وقالب جديد. ولكن مع الأسف الشديد دب إلى صميم الحركة كثير من ديدان الفساد وجراثيم الفتنة من حيث لا يعلمون. وليس في هذا البحث مجال لتفصيلها ولا إمكان لشرحها.

ومن أهم ميزات حركة كولن أن لديها نظرة مستقبلية بعيدة المدى حيث إن **الأستاذ كولن** رأى مستقبل المجتمع الحديث وأدرك بفراسة المؤمن البصير وحكمة الرجل التقي أن المجتمع الإسلامي المتخلف الذي يئن تحت أثقال الفقر، والتفرق، والاستعمار الفكري يحتاج للخروج من هذا الفقر المدقع، والجهل القاتل، ومن هذه الأزمات المالية، والتفرقات الفظيعة، والنزاعات القومية، والاضطرابات الفكرية، والسياسية إلى طراز من الدرجة الأولى من الكوادر العليا التي بمستطاعها أن

تدير الدولة والمجتمع أحسن الإدارة، ويحتاج أيضا إلى نخبة متميزة من المختصين من رجالات العلم والفكر والصناعة والسياسة في سائر مجالات الحياة، حتى يتسنى للمجتمع الإسلامي أن يساير المجتمعات الحديثة القوية بعلمها، وفنونها، ونظامها، واقتصادها، وسياستها، وإدارتها؛ كما أدرك الأستاذ ما سيحتاج إليه المجتمع المسلم المعاصر في مستقبل الأيام وقادم الزمان من مؤسسات التعليم، ومعاهد التربية، ومنظمات الإعلام، وأبصر ما يتحتم على المجتمع المسلم أن يستعد له في هذه الدنيا الحديثة من ضرورة تعزيز مؤسسات التعليم والتربية وضرورة الترقي في العلوم والفنون والرياضيات والصناعات الجديدة، ومن ثمه ضرورة فتح المؤسسات التعليمية التي تخدم التعليم والتربية كالمدارس الثانوية، والمعاهد الأهلية، ودور الطلاب، والمدارس التي تهيئ الطلاب للانخراط في الجامعات، وضرورة تكوين وتأسيس المؤسسات المدنية الأهلية الحديثة التي تنافح عن حقوق المدنيين أمام القوى السلطوية المعتدية سواء منها التجارية أو الاجتماعية أو النقابية أو غيرها. وقد أدرك **الأستاذ كولن** كل هذه الأمور وطبقها فعلا كما ذكرنا أعلاه. ولقح الأستاذ فكرة كل هذه الأمور طلابه ورباهم على هذه العقلية المتفتحة المستقبلية التي تستهدف الاستيلاء بتدرج معقول على المستقبل كله. ومن ثمه جعل طلابه يهرولون من غير فتور ولا قصور في نشر دعوته بين ربوع العالم في مشارق الأرض ومغاربها.

وبالرغم من أن لدينا التحفظات الكثيرة على بعض الانفتاحات والأفعال والأعمال التي يأتي بها طلاب الأستاذ كولن بحجة مسايرة أحداث العصر لكنا لا نزال بدورنا هذا نقدر الرشيد النافع والصواب المفيد من جميع مناشط الحركة وفاعلياتها الجمة ونبارك عليها. ونسئل الله سبحانه أن يعصمها من الزلل والخطأ والخطل في القول والفعل والعمل.

إن الأستاذ كولن لم يتزوج وبقي أعزب وبذلك تسنى له أن يصرف جميع أوقاته إما في عبادة ربه، أو في تنظيم حركته، أو في تعليم العلم وتعلمه وبحثه ودراسته فكان عنده رصيد بالغ من شتى مسائل العلوم وخلفيات غنية من مختلف أفنان الثقافات القديمة والحديثة حتى تيسر له أن يلقي في حدود السبيعنات والثمانينات محاضرات عديدة في إبطال نظرية النمو والارتقاء لدارون وذاك ليس بالأمر الهين حتى للمختصين في علوم البيولوجيا دعك من عالم في العلوم الإسلامية. وهذا الثراء في المعلومات أفسح مجال التأليف للأستاذ كولن فألف في عديد الموضوعات وأبدى آرائه الشخصية في كثير من المسائل الاجتماعية الحية ولقي الكثير من تلك الآراء قبولا جماهريا من عامة الناس. لاريب أن أكثر مؤلفاته تتعلق بشأن الدعوة وتربية أبناء الحركة ولكن له أسلوب يخصه هو. ولاجرم أن من تلك الموضوعات الحية التي خاضها **الأستاذ كولن** موضوع السيرة النبوية وهو موضوع حي معين صاف للأمة الإسلامية نابع نابض بالحياة للعالم الإنساني عامة لا الأمة الإسلامية خاصة بعبرها ودروسها ورسالاتها كما يقول الأستاذ كولن: إن السيرة النبوية منقذ للبشرية، وإكسير للمشاكل

المستعصية على الحل، وللأمراض غير القابلة للشفاء.[1] فلنقسم ما كتبه الاستاذ في سبعة مواضيع من موضوعات السيرة حسب التقسيم الأجزائي للكتاب.

3- الجزء الأول النبي المرتقب

تناول المؤلف في هذا الجزأ الذي يتكون من مائة صحيفة من المقاس المتوسط الذي هو نصف A4 تلك الأمور التي سبقت نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وبشرت بها. ففي المقدمة حاول المؤلف أن يشير إلى بعض جوانب من كمالات الرسول وعظمة صفاته[2] وفضائله حتى يستيقن كل بصير ولبيب أنه رسول الله حقا. ثم يأتي المؤلف بتمهيد يعنونه بـــ "النبي المرسل رحمة للعالمين" ثم يدمج تحت هذا العنوان مواضيع – ولكن باختصار شديد- ينبلج منها الحالة الاجتماعية للفترة التي بعث فيها الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم وهي: الفجر المرتقب، عهد مظلم، بصيرة عمياء، براعم توأد، قيم متغيرة. يمكن للقارئ أن يفهم من هذه العناوين الشيء الكثير مما كان عليه الناس في زمن الجاهلية إبان بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم.[3] ثم ينتقل المؤلف إلى بيان يفهم منه أن أمثال هذه الأجواء السيئة والحالات الردية تستلزم ظهور مغيث يغيث البشرية من ذلك الوضع المردي المهلك فيتناول المسئلة تحت العناوين الآتية: "إعداد إلهي"، "نور مرتقب"، "مكافائة جزيلة". ولا يتحاشى المولف انطلاقا من ذلك العشق النبوي والهيام به المستولي على جميع حجيرات جسده أن يعلن – بعد ما أشار إلى أيام الفرح والسرور كأيام العيد – أن يوم ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم عيد لنا، بل عيد للإنسانية جمعاء، بل عيد لعالم الوجود كله.[4]

ثم يأخذ المؤلف في تعداد بعض مبشرات النبوة بادئا بعلامات النبوة مختصا منها رحلتا النبي عليه السلام إلى الشام ثم ينتقل إلى دعاء إبراهيم بنبوته وتبشير عيسى عليهما السلام به ومن هنا يتغلغل المؤلف في العهدين القديم والجديد ملتقطا منهما بعض البشائر التي تبشر بنبوة سيدنا محمد عليه السلام.[5] ثم يتعرض المؤلف في هذا السياق لبعض التنبوآت بنبوته عليه السلام الواردة على لسان بعض من حكماء العرب وعقلائها كزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، وعبد الله بن سلام.[6] ثم يتعرض المؤلف هنا لسؤال مقدر ربما يورده البعض من القراء هنا وهو أنه إذا كان نبوته ظاهرة بهذه الدرجة فإذاً لماذا لم يؤمن أمثال الوليد بن المغيرة، وعقبة بن الوليد، وغيرهما فيرى الأستاذ كولن أن

---

[1] كولن محمد فتح الله، **سلسلة النور الخالد النبي المرتقب الانتظار والقدوم**، ترجمة أورخان محمد علي، الطبعة الثالثة، دار النيل، إستانبول 1425\2005، ج 1، ص 23.

[2] المصدر السابق، ج 1، ص 36.

[3] انظر المصدر السابق، ح 1، ص 39- 49.

[4] المصدر السابق، ج 1، ص 42- 43.

[5] انظر المصدر السابق، ج 1، ص 58- 67.

[6] انظر في ذلك: المصدر السابق، ج 1، ص 68-70.

لذلك بعض الأسباب كالغيرة والحسد وشعور المنافسة وغيرها. وحينما يتعرض المؤلف لذلك لا يكتفي بذكر المعلومة التاريخية فحسب بل يحلي ذلك بسرد أحداث واقعية من الوسط الذي كانوا يعيشون فيه.[1]

ويختم المؤلف الموضوع ببيان دعوي يحاول أن يلقي من خلاله بعض الدروس والنصائح لطلابه إذ يقول في بعض كلامه: "إلا أن للمسألة وجها آخر لا أستطيع إهمالها ولا الهرب من السؤال الذي تطرحه: أنملك قلبا لائقا بسلطان القلوب هذا؟ هل هذا السلطان مستريح في مجلسه من القلوب؟ هل قلوبنا مفتوحة له على الدوام؟ أنلاحظه في قيامنا وقعودنا، في أكلنا وشربنا؟ أنلاحظ محمدا صلى الله عليه وسلم بقلوبنا في جميع حركاتنا وسكناتنا؟ أنسيرفي جميع شؤون حياتنا على الخط الذي رسمه لنا؟ فإن كان جوابنا بالإيجاب فما أسعدنا! لأن هذا يعني أن خيالنا وأحلامنا مزينة بجمال صورته.. وإننا بذلك نكون جماعة محمدية، نتخلق بأخلاقه ونتأدب بآدابه..وإن أي جماعة تتزين بمثل زينة أخلاقه، تكون عنصر توازن في هذا العالم.[2] وهكذا يستمر في خطابه الدعوي لطلابه ولجميع أهل عصره ومن سيأتون بعدهم. ومن هنا نفهم أن مهمة الرجل في كتابة السيرة ليس هو جمع المعلومات التاريخية وتصنيفها وترتيبها من جديد كما يفعله غيره بل مهمته الأصيلة تربية جماعته وأبناء حركته أولا على حب الرسول المستولي على جميع لطائفهم الإنسانية وثانيا تربيتهم على حكمة تلك الدروس التي تلتقط بسهولة من سيرة الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم وجعلهم متبعين لها ومتخلقين بها. وقد أشار محمد عمارة فيما كتبه من تقديم للكتاب إلى بعض ذلك أيضا.[3]

وبذلك انتهى القسم التمهيدي من الكتاب وانتقل المؤلف إلى القسم الأول بعنوان "الأنبياء والرسل" عاقدا فيه الباب الأول للغاية من إرسال الأنبياء. وهنا ينص الاستاذ كولن على بعض نقاط تشكل صلب الموضوع في بيان الغاية من إرسال الرسل. وهي العبودية، والتبليغ، ونصب القدوة الحسنة، وتأمين التوازن بين الدنيا والآخرة، وسد باب المعذرة على الكفار والظالمين يوم القيمة. ويزين كولن جميع هذه المعلومات بمعلومات واقعية من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن حياة الصحابة رضوان الله عليهم.[4]

ثم ينتقل المؤلف كولن إلى الباب الثاني مخصصا إياه لخصائص الأنبياء فيذكر منها في نهاية هذا الجزء: الربانية، والتجرد والتوجه إلى الله وحده، والإخلاص، والموعظة الحسنة، والدعوة إلى التوحيد.[5] وحينما يتناول الأستاذ جميع هذه الخصائص يتناولها تناول الداعية الحكيم الذي يصرف

---

[1] انظر المصدر السابق، ج 1، ص 71-78.

[2] المصدر السابق، ج 1، ص 80.

[3] محمد عمارة، تقديم كتاب النور الخالد، ج 1، ص 13.

[4] انظر كولن، النبي المرتقب من سلسلة النور الخالد، ج 1، ص 89-106.

[5] انظر المصدر السابق، ج 1، ص 107- 120.

جميع جهده في الإبانة عن حقيقة دعوية كي يستفيد الناس منها ويأتسون بها ويطبقونها في واقع حياتهم العملية فلا يتدخل في عرض المعلوات الفلسفية ولايناقش الآراء الجدلية في الموضوع وكفاه هذا.

ومن هنا ينتقل المؤلف إلى الجزء الثاني من سلسلة "النور الخالد" بعنوان "من صفات الأنبياء ومكانتها من سيد الأصفياء" بادئا في هذا الفصل بصفة "الصدق". فأولا يستشهد على صدق الأنبياء بآيات عديدة، ثم يأتي ببعض الأمثلة من واقعية صدق الصحابة مع الرسول صلى الله عليه وسلم في شرح قوله تعالى: **{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً}**[1] وبعد ذلك يتابع كولن مسيره في إثبات صدق رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم متناولا إياه من جوانب عدة: أمانته، وصدقه قبل الرسالة، وصيته بالصدق دائما. وحين الحديث عن الوصية بالصدق يستشهد بأحاديث عدة من أحاديث الرسول صلى الله عليم وسلم، ثم يجعل يمثل ببعض وقائع الصحابة مستدلا بذلك على مدى تأثير أقوال الرسول في مسير حياة الناس ويطنب في ذلك بذكر قصة كعب بن مالك الطويلة حين تخلفه من غزوة تبوك.[2] وبعد ذلك يستشهد المؤلف على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم البالغ بأقواله.

وبعد أن تناول مفهوم "الغيب" بشيء من التحليل مستشهدا ببعض الآيات القرآنية صرح بأنه صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب مطلقا وإنما يعلمه حسب ما أطلعه ربه من ذلك فمن ادعى علمه بالغيب مطلقا فقد أفرط كما أن من ادعى عدم علمه مطلقا يفرط[3]. ثم ينتهج الأستاذ كولن منهج النورسي في سياق إثبات صدق الرسول ملتقطا إياه من إخباراته الغيبية ويقسم ما سيذكره من الأمثلة إلى مجموعات ثلاث: الأولى الأخبار الغيبية المتعلقة بعهده صلى الله عليه وسلم، الثانية الأخبار المتعلقة بالمستقبل القريب أوالبعيد، الثالثة الحقائق التي أوضحها ببيانه السهل الممتنع والتي لم يعرف معناها إلا بعد تقدم العلوم.[4] وبعد هذا التقسيم يأخذ المؤلف في عد الأمثلة من واقع إخبارات الرسول صلى الله عليه وسلم الغيبية فيذكر للقسم الأول خمسة أمثلة رائعة انتقاها من كتب السيرة المطهرة.[5]

وفي القسم الثاني قسم الأخبار المتعلقة بالمستقبل يذكر مما يتعلق بالمستقبل القريب عشرة أمثلة رائعة ومما يتعلق بالمستقبل البعيد خمسة عشر مثالا من إخبارات النبي صلى الله عليه وسلم عن شتى أمور وأحداث ستتحقق في مستقبل يومذاك القريب والبعيد.[6] وقد وقع كلها كما أخبر الصادق

---

[1] الأحزاب، 33\23.

[2] انظر المصدر السابق، ج 2، ص 13–19.

[3] المصدر السابق، ج 2، ص 23–25.

[4] المصدر السابق، ج 2، ص 25.

[5] انظر المصدر السابق، ج 2، ص 25–27.

[6] انظر المصدر السابق، ج 2، ص28–41.

المصدوق. وعلينا أن نكتفي بهذا القدر في هذه العجالة العجولة. وكل ما ذكره المؤلف في هذا القسم والقسم الذي بعده من الأخبار الغيبية التي أخبر الرسول بها يدخل في مصطلح أهل الحديث تحت "أبواب الفتن والملاحم".

ويذكر المؤلف في قسم الأخبار المتعلقة بالعلوم الغيبية اثنين وعشر مثالا ويختم الموضوع كما هو دأبه وديدنه في ختام المواضيع بخطاب فيه دروس وعبر ومعالم ومبادئ[1] لطلابه ومحبيه وهو بيت القصيد في جميع ما يتناوله في كتابه هذا وسائر مؤلفاته.

وحينما يتناول بالشرح صفة "الأمانة" في الأنبياء يثبتها لهم بالنصوص القرآنية ثم ينتقل إلى بيان تلك الصفة في رسولنا الكريم ويشرحها شرحا مسهبا من نواحي عدة: أمانته عليه الصلاة والسلام في التبليغ، أمانته حيال الوجود كله، دعوته أمته إلى الأمانة. ويشرح كل ذلك بأمثلة حية رائعة واقعية من صميم حياة الرسول عليه الصلاة والسلام،[2] التقطها من بطون أمهات كتب السيرة والأجزاء الحديثية.

ومما يسترعي النظر أن المؤلف ذكر تحت عنوان "الأمانة" توكله صلى الله عليه وسلم مع ضعف صلة التوكل بالأمانة حسبما نعلم.

وينهي المؤلف هذا الموضوع مرة أخرى بنداء لطلابه وسائر شباب المسلمين الأتقياء بقوله "يا براعم الأمل" ينفخ فيهم من جانب روح الأمل والثقة بالله، ومن الجانب الآخر ينبههم إلى أهمية وضرورة الالتزام بالأمانة عبر جميع مراحل الحياة إذ يقول: أنتم تستطيعون نشر الأمن والطمأنينة فيما حولكم إن بقيتم أمناء و لم تنحرفوا عن الاستقامة...فإن كنا نريد أن نكون أمة لها وزنها وكلمتها في الشؤون الدولية المهمة ونلعب دورا بارزا في تأسيس التوازن الدولي –حيث أننا مضطرون أن نكون كذلك– فيجب أن نكون ممثلين للحق، وللعدالة، وللاستقامة، وللأمن.[3]

ثم يشرح المؤلف صفة "التبليغ" شرحا دعويا، تطبيقيا، مطنبا متناولا له من جوانب عديدة لها دور بالغ في إيقاظ الأمة وتوعيتها بشبابها، وشيوخها، وذكورها، وإناثها.[4] إذ المؤلف حينما يتغلغل أثناء مهمته في شرح التبليغ كصفة لازمة للأنبياء عامة ولنبينا خاصة لا يتعرض للاتجاهات العلمية العديدة ولا للاختلافات والنقاشات الفلسفية فيه فإن ذاك ليس من مهمته بل مهمته الأصلية، وهدفه الأسمى، ومطلبه الأقصى هي توعية الأمة وإيقاظها من رقادها لاغير. ومن جراء ذلك يهتم المؤلف بكسب قلوب الشباب وإشراب قلوبهم حب النبي صلى الله عليه فيخاطبهم بما يتناغم مع أحاسيسهم،

[1] انظر المصدر السابق، ج 2، ص 78–79.
[2] انظر المصدر السابق، ج 2، ص 80–94.
[3] المصدر السابق، ج 2، ص 100–101.
[4] انظر المصدر السابق، ج 2، ص 102– 152.

ويتوائم مع نفسياتهم، ويتلائم مع مدركاتهم فيغلب على أسلوبه طابع الرقة والحساسية والعاطفية وهذا أسلوب مثير له شأنه في الدعوة يعلمها الداعون.

ثم ينتقل المؤلف في الجزء الثالث من سلسلته إلى صفة أخرى من الصفات اللازمة والضرورية للنبوة عامة ولنبينا عليه الصلاة والسلام خاصة بعنوان "عظمة الفطنة في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم" وفي بداية الموضوع يأتي ببيان عقلي ناضج يتوضح منه لزوم الفطنة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويمكن تلخيصه بأن النبي وهو الحاكم الفيصل في أمته يجابه دوما الكثير من الأزمات والمشاكل والأمور المستعصية على الحل فلو لم يكن النبي بارعا في فطنته ونابغا في قواه المدركة لما تيسر له حلول تلك المشاكل.[1]

وبعد هذا العرض التمهيدي ينتقل الأستاذ كولن إلى أمثلة رائعة من واقع حياة الرسول عليه السلام تدل على بالغ فطنته صلى الله عليه وسلم ويحلي الأستاذ كولن تلك الأمثلة بأسلوبه الدعوي الرقيق الحساس الذي يضرب على أوتار الروح كموقفه الحكيم من وضع الحجر الأسود في بناء الكعبة،[2] وككلامه البليغ مع حصين حتى دخل الإسلام في قلبه،[3] وكموقفه من الأعرابي فيما يرويه أحمد بن حنبل عن أبي تميمة الهُجَيمي في إسلام رجل من قومه،[4] وكموقفه الحكيم في خطابه للأنصار حينما وقع حزازة بقلوب بعض الأنصار من تقسيم الغنائم،[5] ومما يجدر بالمؤلف وهو يبحث عن فطنة النبي صلى الله عليه وسلم أن يلقي الضوء على جوامع كلم الرسول عليه الصلاة والسلام وقد فعل فأخذ بعين الاعتبار نحوا من خمس وعشرين حديثا من جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام وحلل البعض منها تحليلا جيدا مطنبا مسهبا استطاع به أن يترل إلى أعماق قلوب طلابه وإلى أقعار نفوسهم واستنبط من خلال ذلك لطائف علمية جيدة جديرة بالاعتبار.[6]

ثم ينتقل المؤلف إلى بعد آخر من الفطنة النبوية وهو رحمته البالغة، ورحمته العالمية، ورحمته بالأطفال، وشفقته على الحيوانات، وحلمه العظيم، وكرمه الجم وتواضعه العظيم، وتواضعه وعبوديته وتصرفاته الفطرية[7] فيتخذ المؤلف من كل ذلك أدلة رائعة قوية تدل على كمال فطنته صلى الله عليه وسلم.

[1] انظر كولن، عظمة الفطنة في نبوة محمد (من سلسلة النور الخالد)، ج 3، ص 7-9.

[2] انظر المصدر السابق، ج 3، ص 9-11.

[3] انظر المصدر السابق، ج 3، ص 11-13.

[4] انظر المصدر السابق، ج 3، ص 14-15.

[5] انظر المصدر السابق، ج 3، ص 15-21.

[6] انظر المصدر السابق، ج 3، ص 21- 123.

[7] انظر المصدر السابق، ج 3، ص 123- 177.

ومن بعد ذلك ينتقل الأستاذ كولن إلى الجزء الرابع من سلسلته كي يتناول فيه جانبا آخر من السيرة المطهرة ولكن يعنونه بعنوان طريف مسترع للنظر وهو "فن التربية وحل المعضلات عند مفخر الإنسانية صلى الله عليه وسلم" فكأنه ينظر الأستاذ كولن إلى جميع أحداث السيرة نظرة طائر ويختار منها ما هو أوفق بالموضوع وأدل على إثبات الرسالة ويستشهد بها. وهنا يبدو دقة نظرته الدعوية. فحينما يتناول جانب تربية الرسول عليه الصلاة والسلام يتناول تربيته كرئيس عائلة وكأب وجد رحيم،[1] ثم يتناول تربيته للناس وأسلوبه في ذلك. وفي هذا السياق يتناول الموضوعات التالية: السمو بالروح والنفس، عالمية دعوته، الحركة والعمل، التجارة والزراعة والجهاد، ملاحظة حول العلم.[2] ويستمر المؤلف في عرض جوانب من تربية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في أمثلة من نظام تربيته وتعليمه كموقفه من الأعرابي الذي بال في مسجده وكالقيمة التي أعطاها للمرأة، وكاستغنائه، وككرمه وإيثاره، وكموقفه من عكرمة في أول لقياه مع النبي عليه السلام، وكموقفه من ماعز[3] ففي كل هذه المواقف نرى المؤلف يلتقط تلك التدخلات النبوية التربوية الحكيمة التي كان الرسول الحكيم يربي بها الفرد والمجتمع سواء بحكمته الغراء.

ثم يعقد المؤلف فصلا مستقلا لشرح ذلك الجو التربوي الذي صنعه الرسول عليه السلام ونشأ فيه عباقرة الإنسانية بتربيته الحكيمة ومنهم عباقرة العلم في مجالات الفقه والتفسير والحديث، والعلوم الوضعية، وكأولئك الأبطال الذين تربوا في ظل تربيته الخالدة إلى يوم القيمة في عالم الروح والمعنى، وكابطال البيان الذين تربوا في مدرسته الغراء من الأدباء والشعراء وسائر أرباب البيان.[4]

ومن بعد هذا وذاك ينتقل المؤلف إلى تناول حل الرسول صلى الله عليه وسلم للمشكلات التي انتابت مجتمعه. وبعد تمهيد يذكر بعض المبادئ التي كان الرسول يلتزم بها ويحاول المؤلف أن يوضح كيف أن الرسول كان يحاول حل المشكلات من خلال التزامه بتلك المبادئ كثقته وعزمه وكاهتمامه بوضع العنصر الإنساني في موضعه المناسب، وكاستخدامه للكفاآت في الموضع المناسب لها، وكفراسته الحكيمة المصيبة.[5] ويذكر لهذا أمثلة عدة من وقائع المشاكل التي حلها الرسول بحكمته الغراء كتقسيم غنائم حنين وكمشكلة الهجرة، وكالدستور الذي وضعه في مهجره إلى المدينة، وكالتكتيك الذي طبقه في غزوة أحد، وكوضعه لمبدأ الشورى.[6]

---

[1] انظر كولن، فن التربية وحل المعضلات عند مفخر الإنسانية (من سلسلة النور الخالد)، ج 4، ص 7–41.

[2] انظر المصدر السابق، ج 4، ص 42–62.

[3] انظر المصدر السابق، ج 4، ص 63– 82.

[4] انظر المصدر السابق، ج 4، ص 83–97.

[5] انظر المصدر السابق، ج 4، ص 101–123.

[6] انظر المصدر السابق، ج 4، ص 124–148.

وفي سياق عرضه لتلك القابلية النبوية الربانية الفذة التي متع بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم واستطاع أن يحل بها ما عرض له من المشاكل وأن يفصل بها ما استعصى من القضايا يتناول الأستاذ كولن تخطيطه عليه الصلاة والسلام البارع للأمور، ومعالجته لقضية العنصرية، وموقفه الرائع في صلح الحديبية،[1] ومن هنا يشرح بتفصيل وإطناب بنود الصلح ويقف عند كل واحدة منها وقفة تأمل كي يبين ما نتج عنها من تلك النتائج[2] المذهلة الرائعة لهذا الصلح الذي بدا للبعض من الصحابة أول ما بدا كأنه وهن وتنازل تجاه كفار مكة.

وينتقل الأستاذ كولن في الجزء الخامس من سلسلته إلى جانب آخر طريف من جوانب السيرة الأحمدية وخصيصة أخرى من خصائصه الذاتية وهو قيادته الحكيمة فيشرح تلك القيادة الرشيدة بين تنظير وتطبيق بعنوان "الرسول صلى الله عليه وسلم قائدا التنظير والتطبيق"

ففي مطلع هذا الجزء بعد وضعه لعنوان "النبي العسكري" طفق المؤلف يذكر بعض ملابسات الجهاد الإسلامي كأهداف الجهاد من الدفاع، وردع الظلم، وحرية الدعوة. ثم ينتقل إلى بيان ما يصاحب الحروب الإسلامية من أسس إنسانية قلما تجدها عند قوم آخرين ويؤكد من خلال ذلك أن السلم هو الأساس في الإسلام.[3] ويستمر المؤلف في عرض ملابسات الجهاد النبوي من الإعدادات المادية والمعنوية كالإعداد الجيد، وتقوية الروح المعنوي للمجاهدين، وكتكوين قوة رادعة حسب الظروف، واستعمال السيف حين الضرورة، والحض على الطاعة، وكتمان القرارات العسكرية، واستخدام المخابرات السرية، وسائر التخطيطات النبوية العسكرية.[4]

ومن هنا ينتقل المؤلف إلى السرايا النبوية تلك المفرزات العسكرية التي كان الرسول يرسلها على المشركين من غير أن يكون معهم. ففي بادئ الأمر يبدأ ببيان أهداف السرايا ويخلص تلك الأهداف في مواد أربع: الإشعار بالكيان الإسلامي، إظهار هيمنة الحق، إعداد قاعدة بنيوية للدعوة، وإقرار الأمن.[5] ثم يذكر خمسا من السرايا ويختم موضوع السرايا ببيان أربع نتائج سامية لتلك السرايا وهي تحقيق سيادة الإسلام، وذيوع الأمن في البلاد، والسيطرة على الأمور، والإعداد لغزوة بدر.[6]

وهنا يجد الفرصة كي يذكر جملة من غزوات المصطفى صلى الله عليه وسلم فيستهل ذلك الحديث بغزوة بدر الكبرى ونراه يتجول في أحداث الغزوة التي هي الفرقان الأعظم والنصر الأكبر للمسلمين ويعدو بين جنبات الغزو من عدوة إلى أخرى كي يقتنص مواضع العبر ويستنبط مكامن

---

[1] انظر المصدر السابق، ج 4، ص 149–153.

[2] انظر المصدر السابق، ج 4، ص 153– 169.

[3] انظر كولن، الرسول صلى الله عليه وسلم قائدا بين التنظير والتطبيق، (من سلسلة النور الخالد)، ج 5، ص 7–21.

[4] انظر المصدر السابق، ج 5، ص 21– 37.

[5] انظر المصدر السابق، ج 5، ص 37–40.

[6] انظر المصدر السابق، ج 5، ص 40–54.

الدروس للأجيال الناشئة وخصيصا شباب الأمة كما هو شأنه في سائر أحداث السيرة المصطفوية فيضع عشر نقاط يجول فيها بقلمه ويصول حتى يضع النقاط على الحروف ويصل إلى القمة في ضبط ما يمكن أن يضبط من استخراج دروس الوعي الإسلامي والتربية الروحية من مخازنها وأخذ الرسالات الإنسانية والدروس الاجتماعية من مخابئها فعليك بها.[1]

ثم أخذ المؤلف يشرح غزوة أحد ويفعل فيها نفس الفعلة من استنباط مواضع العبر وتحديد مواضع الدروس من أحداث الغزوة[2] ومما يستطرف في تناوله لغزوة أحد أنه قسم غزوة أحد إلى ثلاث لوحات وفي كل لوحة منها –على حد تعبيره– ناول جانبا من جوانب الغزوة.[3]

ثم ناول غزوة بني النضير ووبدر الصغرى، وغزوة ذات الرقاع باختصار شديد، وغزوة بني المصطلق بشيء من التفصيل، ثم يأتي دور وقعة الخندق فنرى المؤلف يطلق سراح قلمه فيعدو ويعدو حتى يستنبط منها دروسا أكثر وعبرا أوفر.[4]

ثم يضع عنوانا باسم الغزوات الأخرى فيتناول تحت هذا العنوان صلح الحديبية بشيء من التفصيل والتحليل،[5] ثم ينتقل إلى ذكر غزوة خيبر وغزوة مؤتة باختصار.[6] ثم يذكر فتح مكة بنبذة من التفصيل،[7] وينهي موضوع الغزوات بغزوة حنين.

وفي نهاية هذا الجزء يتركز الأستاذ كولن على ذكر بعض الؤهلات التي ينبغي أن يوجد في القادة فيذكرمنها عشر صفات من الصفات التي تؤهل الرجل لأن يكون قائدا في قومه أو بين الناس.[8] ثم يذكر بشيء من التفصيل بعض ميزات القيادة النبوية وبها ينتهي الجزء الخامس.[9]

ويبدأ الجزء السادس من السلسلة كي يشرح العصمة النبوية فيبدأ الموضوع ببيان المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة "العصمة" ثم يذهب يشرح ثبوت العصمة في الأنبياء عليهم السلام بإطناب وإسهاب حيث خصص نصف هذا الجزء لعصمة الأنبياء السابقين. ولا يهمل المؤلف أن يتعرض للقضية من منظور الكتب السابقة كالعهدين القديم والجديد وأن ينص على مافيهما من افتراآت وأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان.[10] كما تعرض لمواقع التهم التي أسند فيها إلى بعض الأنبياء شيء من الزلات والهفوات بدأ بآدم عليه السلام ومرورا بنوح وإبراهيم وانتهاء بيوسف عليهم السلام.[11]

[1] انظر المصدر السابق ج 5، ص 55-84.
[2] انظر المصدر السابق ج 5، ص 84- 114.
[3] انظر المصدر السابق ج 5، ص 96- 103.
[4] انظر المصدر السابق ج 5، ص 121- 138.
[5] انظر المصدر السابق ج 5، ص 138-145.
[6] انظر المصدر السابق ج 5، ص 145-150.
[7] انظر المصدر السابق ج 5، ص 150- 156.
[8] انظر المصدر السابق ج 5، ص 161-165.
[9] انظر المصدر السابق ج 5، ص 165- 190.
[10] انظر كولن، العصمة النبوية، (من سلسلة النور الخالد)، ج 6، ص 22- 28.
[11] انظر المصدر السابق، ج 6، ص 29- 72.

ثم يخصص الأستاذ كولن ما تبقى من نصف هذا الجزء من السلسلة لعصمة نبينا محمد صلى الله عليه والسلام متناولا إياها من نواحي عديدة مفصلة وذاكرا ومجيبا لبعض تلك المواضع التي ربما يمكن للبعض أن يجعلها منافية لعصمته صلى الله عليه وسلم كموقفه من أسرى بدر، وكإذنه لبعض الناس في غزوة العسرة، وكموقفه من عبد الله بن مكتوم، وكموقفه من مقترحات ثقيف، وكموقفه من الفقراء، وكموقفه خلال تزوجه بزينب بنت جحش رضي الله عنها.[1] ويعقد المؤلف هنا فصلا حقيقا بالتقدير وهو "انعكاس العصمة في حياته صلى الله عليه وسلم" فيمثل لذلك بزهده، وتفكره، وتواضعه، وعبوديته، وأدعيته بالتفصيل.[2] وهنا ينتهي الجزء.

وفي الجزء السابع والأخير من سلسلة النور الخالد يتناول المؤلف موضوعا هاما حيويا له ما له من المكانة القصوى والأهمية العظمى في التشريع الإسلامي وله ماله من الدور العظيم في حياة الأمة الإسلامية فالسنة ضياء حياتنا ونورها[3]. ولما له من تلك الأهمية ألف فيه العلماء قديما وحديثا مؤلفات عديدة قيمة لها وزنها العلمي ورجحانها الثقوي في عالم المراجع العلمية والمصادر الموثوقة ألا وهو موضوع السنة النبوية. وكفاك شاهدا أنه ثاني مصادر التشريع الإسلامي وأنه الباب الوحيد الذي من أراد حظيرة قدسه تعالى و لم يدخل من ذلك الباب رد إلى إصطبل الدواب، و لم يقبل الله منه لا صرفا ولا عدلا ولا فرضا ولا نفلا. ناول مؤلفنا كولن موضوع السنة باسم "السنة النبوية تقييدها ومكانتها في الشريعة الإسلامية". وحيث كان الاسم عنوانا على المسمى فهذه التسمية توحي حول مضمون الكتاب بالشيء الكثير وتدل على المغزى الوفير.

فبعد أن عرف السنة بمفهومها الإصطلاحي عند الفقهاء وعند أهل الحديث يسرد لنا أنواع السنة القولية والفعلية والتقريرية[4] ويدخل في شرح مكانة السنة في المنظور القرآني مستدلا على ذلك بأكثر من عشر آيات، وكذلك يبين مكانة السنة في منظور السنة نفسها أيضا[5] ثم يذهب كي يبين بعض الوظائف التي قامت بها السنة.[6] وغب ذلك يشرح المؤلف تدوين السنة بأسلوب علمي هادئ ذاكرا جملة لا بأس بها من التفاصيل كرحلات الصحابة في تحقيق السنة ومتركزا على ذكر جملة من العوامل الاعتقادية والنفسية والاجتماعية التي دفعت إلى تدوين السنة.[7] ومن هنا يجد المؤلف الفرصة سانحة كي يدخل في مسئلة وضع الحديث فيذكر جملة من الأسباب التي ساعدت على فرز الأحاديث

---

[1] انظر المصدر السابق ج 6، ص 73- 113.

[2] انظر المصدر السابق ج 6، ص 114- 156.

[3] المصدر السابق ج 6، ص 15.

[4] انظر كولن السنة النبوية تقييدها ومكانتها في الشريعة الإسلامية (الجزء الأخير من السلسلة)، ج 7، ص 8- 20.

[5] انظر المصدر السابق، ج 7، ص 20-25.

[6] انظر المصدر السابق، ج 7، ص 25-32.

[7] انظر المصدر السابق، ج 7، ص 33- 68.

الموضوعة.[1] وبهذه المناسبة يشيد المؤلف ببعض الأحاديث الصحيحة التي اتهمت بالوضع فيذكر ثمانية أحاديث اتهمت بالوضع وهي صحيحة. ولكن لا يتناول قضية صحتها على طريقة أهل صناعة الحديث بأن يأتي بأسانيدها ويمحص رجالها فيثبت صحتها بل له طريقة أخرى في الإثبات وهي الإثبات من ناحية المعقول.[2] وهذه الطريقة وإن كانت صحيحة في نفسها سائغا شرابها من ناحية ما يهتم به الحداثيون ومن لف لهم من نقد المتن لكن لا يستسيغها أهل نقد الحديث.

وبعد ذلك يتطرق المؤلف إلى سرد العوامل التي أدت إلى كثرة ورود الأحاديث على اللسان النبوي ردا منه على المستشرقين الذين يريدون أن يقتحموا على حظيرة الإسلام من باب التشكيك في أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم بأن كثرة هذه الأحاديث تدل على وضعها. فشمر مؤلفنا من ساعد الجد وفند مزاعمهم الباطلة هذه وردها ردا علميا ضمن ستة عناوين يأتي تحت كل عنوان بما يلزم هؤلاء المتقولين الأفاكين.[3] وفي نهاية هذا البحث يذكر بعض الأمور التي لها صلة حميمة بالسنة من مثل شروط رواية الحديث بالمعنى، فروق الألفاظ في الأحاديث، وجوامع كلمه عليه السلام، وكتابة السنة في عهده عليه السلام ومن بعده. ثم يأتي المؤلف بأدلة قوية على التدوين وبها يختم الباب.[4]

إن المؤلف بحساسيته المرهفة كان على خبرة واسعة بأبعاد ذلك التأثير القوي الذي يتركه حياة الصحابة والتابعين في نفوس الجماعة المؤمنة والأجيال القادمة منهم فكان يهتم دوما عبر خطاباته وكتاباته كلها بتقديم مشاهد حيوية ومقاطع تربوية من مختلف جوانب حياتهم. لأن حياة الصحابة ومن تبعهم بإحسان هي المفخرة العظمى لجميع الأجيال المسلمة فمن هنا ختم المؤلف هذه السلسلة وختامه مسك بباب عقده لحياة الصحابة والتابعين فيشير في القسم الذي خصصه للصحابة إلى طبقات الصحابة، وإلى منزلتهم الرفيعة، ويذكر خمس عوامل أدت إلى رفع درجاتهم وعلو منازلهم، ثم يشير إلى مكانة الصحابة في القرآن ومكانتهم في السنة ثم يذكر المكثرين من الصحابة فيذكر منهم أبا هريرة، وعمر بن الخطاب، وعليا، وعائشة، وعبد الله عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، وأبا سعيد الخدري، وجابرا بن عبد الله وأنسا بن مالك.[5]

ومن هنا ينتقل المؤلف إلى ذكر التابعين ويذكر طرفا من فضائلهم على الجملة.[6] ثم يذكر من كبار التابعين سعيد بن المسيب، وعلقمة بن قيس النخعي، وعروة بن الزبير بن العوام، ومحمد بن

[1] انظر المصدر السابق، ج 7، ص 72- 83.

[2] انظر المصدر السابق، ج 7، ص 83- 97.

[3] انظر المصدر السابق، ج 7، ص 97-110.

[4] انظر المصدر السابق، ج 7، ص 110- 125.

[5] انظر المصدر السابق، ج 7، ص 126-167.

[6] انظر المصدر السابق، ج 7، ص 167- 175.

مسلم بن شهاب الزهري فيذكر نبذة من فضائلهم[1] وبها ينتهي الموضوع ويختم الكتاب وختامه مسك.

خاتمة

إن للأمة الإسلامية بمختلف شعوبها وأقوامها صلة حميمة وآصرة متينة مع رسولها صلى الله عليه وسلم بالرغم من عبور مآت السنين ومضي عشرات العصور والقرون عليه. وتلك الصلة صلة روحية قلبية ملئها الحب والوفاء والإجلال والتعظيم والتعزير والتوقير. ومن هنا كتبت الأمة الإسلامية بجميع شعوبها وأقوامها عبر التاريخ الإسلامي كله مآت الكتب والمصنفات والمؤلفات والدواوين الحافلة التي تضم آلاف الأشعار ومآت القصائد في سيرة المصطفى وحبه وشمائله.

وفي المنعطف التاريخي الذي مرت به الأمة الإسلامية في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين التقت الأمة بشراشرها بأحداث تشيب منها الولدان ويتفطر منها الجنان أحداث تصول على الأمة من كل صوب وأوب كي تفصلها من نبيها وكتابها وتخلعها من جميع معتقداتها ومقدساتها فتنزعها من كيانها الإسلامي ومن شخصيتها الإيمانية. فمع أن الأمة أصيبت في مقاتلها بجروح ثخينة بالغة لكن – ولله الحمد والمنة- لم تنفصل من معتقداتها ومن مبادئها وتعاليمها. هذه نقطة.

أما النقطة الثانية فهي أن هذه الأمة لم تزل مذ آمنت بمحمد صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا على وعي كامل مستنير بمكانة رسول الله صلى العظمى في الدعوة والتشريع. فالأمة بعوامها وخواصها من علمائها ومنوريها تقدر الرسول وترى أن مكانته ليست مكانة رجل عبقري فاق على الأقران، وبرع على غيره من بني الإنسان؛ وكذلك مكانته ليست مكانة رجل عملاق دهش منه الإنس والجان، بل مكانته فوق كل ذلك بكثير لأنه ينبأ عن رب العالمين ويتصل دوما بالمطاع الأمين فله مكانة غير ما يتواضع عليه الناس ويتعارف عليه البشر. له مكانة المبلغ عن رب العالمين المشرع نيابة عن الحكيم الخبير.

ومن جراء ذلك اهتم به وبسيرته الطاهرة وبشمائله الشريفة الأقوام تلو الأقوام والشعوب تلو الشعوب. فكان من الطبيعي أن يهتم المجتمع التركي بمختلف مستوياته وشعوبه وشعبه بتلك السيرة العطرة.

كتب في المجتمع التركي في حب المصطفى عليه الصلاة والسلام والهيام به آلاف الأشعار ومآت القصائد التي تكون ديوانا حافلا من أكبر الدواوين الشعرية.

---

[1] انظر المصدر السابق، ج 7، ص 176- 188.

كتب في بلاد تركيا في سيرته العبيرة في الأزمنة الحيث ما يقارب ألفا من الأعمال الأكاديمية التي تهتم بسيرة الحبيب المصطفى إما كلا أو بعضا.

كتب البعض من تلك الأعمال في السيرة بأسلوب شعبي هادئ بعيد من ضوضاء الأكاديمية وتعقيداتها وتطريزاتها وتهميشاتها.

كتب البعض منها بأسلوب أكاديمي علمي رصين يقنع أرباب العلم والمعرفة وسائر الأكاديميين.

كتب البعض منها نظما والباقي الأكثر نثرا، كتب البعض بلغات مختلفة والباقي الأكثر باللغة التركية، رزق البعض من تلك الأعمال قبولا شعبيا كبيرا فطبع عشرات المرات بينما البعض الباقي لم ينل ذلك القبول.

كتب البعض من المؤلفات في السيرة الأحمدية بصورة مختصرة؛ بينما البعض الآخر منها كتب بصورة حافلة بحيث لم يغادر من أحداث السيرة وتفاصيل وقائعها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

كتب البعض منها على الطريقة المألوفة المعروفة في تأليف السيرة بينما البعض الآخر كتب بأسلوب دعوي يستهدف تنشئة الأجيال القادمة وتوعيتها.

ومما تقر به العين وينشرح به الصدر ونحن نتابع الجهود المبذولة في سيرة الحبيب المصطفى أنه ترجم إلى اللغة التركية من مختلف لغات العالم بما على رأسها العربية والإنكليزية والفرنسية والفارسية كتب قيمة ودراسات جدية.

ومن أكثر أعمال السيرة نشرا ما كتب الأستاذ فتح الله كولن. وهو في عمله هذا ينتهج منهج الدعاة فيستخدم أسلوب الدعوة ويتجنب عن التعقيدات اللفظية وعن التعليقات العلمية الملفوفة بالمصطلحات الأكاديمية الغامضة. ومن خلال ذلك لا ينقطع عن سلوك المنهج العلمي فيوثق جهده معلوماته بتسجيل مصادره ونقل مراجعه.

إن الأستاذ كولن اتبع في دراسته هذه منهجا غير المألوف فجعل الصفات الواجبة للرسل وهي الصدق والعصمة والفطانة والأمانة والتبليغ محور حديثه ونسج سائر ما تناوله من أحداث السيرة الأحمدية على هذه المحاور ولفها عليها لفا. ويبدو من خلال تتبع الكتاب اطلاع المؤلف الكامل على أحداث السيرة. بينما نراه لا يتحاشى بين حين وآخر عن ذكر بعض المناقب والكرامات على نهج المتصوفة. وفي هذا السياق نراه يكثر من ذكر الاستطرادات في شتى المواضيع مما يزيد وعي القارئ حسب ظنه.

ومما يبدو من أساليبه أنه جعل من ديدنه أنه يختم المواضيع بتقديم جملة نصائح نافعة لطلابه ومؤثرة في ازدياد وعيهم. وهنا نجد لديه معرفة تامة بنفسيات الناس الذين ينتمون إلى حركته فيخاطبهم خطابا يتغلغل في أعماق نفوسهم ويهيج مشاعرهم ويوقظ ضمائرهم ويترل إلى أدق ما في نفسياتهم من العواطف. فله خبرة بالغة في تحريك مشاعر الناس وإثارة عواطفهم.

إن كافة جهده عبر عمله هذا منصبة على التقاط معاقد الحكمة وانتقاء مناط العبرة والتقاء مراكز الدرس والرسالة من أحداث السيرة ومن مواقف الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم تجاه شتى الوقائع والأشخاص.

فلنكتف في هذه العجالة العجلى بهذا القدر والله متولي الأمور وهو العليم بخفايا الصدور ونوايا القلوب ويحسب كلا على عمله يوم يبعث من في القبور وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المراجع العربية

- القرآن الكريم
- ابن مالك محمد بن عبد الله، **الألفية في النحو والصرف**، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، بيروت 1423\2002.
- فريد الأنصاري، **عودة الفرسان سيرة محمد فتح الله كولن رائد الفرسان القادمة من وراء الغيث**، دار النيل، الطبعة الأولى، إستانبول 1431\2010
- كولن محمد فتح الله، **سلسلة النور الخالد النبي المرتقب الانتظار والقدوم**، ترجمة أورخان محمد علي، الطبعة الثالثة، دار النيل، إستانبول 1425\2005.
- محمد عمارة، تقديم كتاب النور الخالد.
- النبي المرتقب. ترجمة أورخان محمد علي، الطبعة الثالثة، دار النيل، إستانبول 1425\2005.
- عظمة الفطنة في نبوة محمد. ترجمة أورخان محمد علي، الطبعة الثالثة، دار النيل، إستانبول 1425\2005.
- فن التربية وحل المعضلات عند مفخر الإنسانية. ترجمة أورخان محمد علي، الطبعة الثالثة، دار النيل، إستانبول 1425\2005.
- الرسول صلى الله عليه وسلم قائدا بين التنظير والتطبيق. ترجمة أورخان محمد علي، الطبعة الثالثة، دار النيل، إستانبول 1425\2005.
- العصمة النبوية. ترجمة أورخان محمد علي، الطبعة الثالثة، دار النيل، إستانبول 1425\2005.
- السنة النبوية تقييدها ومكانتها في الشريعة الإسلامية. ترجمة أورخان محمد علي، الطبعة الثالثة، دار النيل، إستانبول 1425\2005.

المراجع التركية

- Ali Himmet Berki ve Osman Keskioğlu, Hatemu'l-Enbiya Hz. Celaleddin Vatandaş, Hz. Muhammed'in Hayatı ve İslam Daveti, Pınar yay. İst. Trz.
- Sırma İhsan Süreyya, Sen Geldin, Beyan yay. İstanbul 2004.
- Muhammed ve Hayatı, DİB yay.25. bas., Ankara 2010.
- M. Asım Köksal, İslam Tarihi, Köksal yay. İstanbul 2004.

- Sarıçam İbrahim, Hz. Muhammed ve Evrensel Mesajı, DİB yay. 6. Bas., Ankara 2011, s. 294- 403.